القرشي.. وتجربته الشعرية

• د. عبدالرحمن شلش •

ظهرت في السنين الأخيرة الماضية، كتب لشعراء عرب يتحدثون فيها عن تجاربهم الشعرية. من هذه الكتب على سبيل المثال، لا الحصر: (تجربتي الشعرية) لعبدالوهاب البياتي و (حياتي في الشعر) لصلاح عبد الصبور و (قصتي مع الشعر) لنزار قباني و(سيرة شعرية) لغازي القصيبي و (تجربتي الشعرية) لحسن عبدالله القرشي.

نتوقف عند تجربة القرشي، بوصفه أحد أبرز الشعراء المعاصرين في المملكة العربية السعودية. ونلقي ضوءاً على سيرة الشاعر، كي نتعرف على أبرز الملامح في حياته وأعماله الشعرية والنثرية، قبل أن نصحبه في تجربته.

ولد القرشي بمكة المكرمة، عام ١٩٣٠م. ودرس بمدرسة الفلاح بها بدءاً من المرحلة الابتدائية، حتى المرحلة الثانوية. كما حصل على شهادة المعهد العلمي السعودي، ثم حصل على ليسانس آداب ــ قسم تاريخ. وعمل بوظائف حكومية عديدة في المملكة، كما عمل رئيساً للمذيعين بالإذاعة السعودية، وانتدب إلى القاهرة للعمل في الإذاعة المصرية لمدة عام. وانتقل إلى وزارة الخارجية وزيراً مفوضاً، ثم سفيراً.

وللشاعر إنتاج شعري ونثري، نشر في الصحف والمجلات السعودية، وفي كبريات المجلات الأدبية الشهيرة، منها: الرسالة، الهلال، المقتطف، الأديب، الآداب، العربي. كما أصدر ثلاثة عشر ديوانا شعريا هي • (البسمات الملونة) و (مواكب الذكريات) و (الأمس الضائع) و (سوزان) و (ألحان منتحرة) و (نداء الدماء) و (النغم الأزرق) و (بحيرة العطش) و (لن يضيع الغد) و (فلسطين وكبرياء الجرح) و (زحام الأشواق) و (عندما تحترق القناديل) و (زخارف فوق أطلال عصر المجون).

وكتب القرشي مسرحية شعرية عنوانها (ثنِّيات الوداع). بالإضافة إلى قصص قصيرة صدرت في مجموعات مثل: (أنَّات الساقية) و (حب في الظلام). وله أيضا قصص أخرى وروايات.

ومن الدراسات التي كتبها الشاعر دراسة عن (فارس بني عبس)، وأخرى عن شعر الشريف الرضي، وثالثة عن أبي القاسم الشابي. إلى جوار دراسات وبحوث ومقالات ومختارات من الشعر في السعودية.

وترجم بعض شعره إلى الفرنسية، والإنجليزية، والصينية، والإيطالية.

وفي (تجربتي الشعرية) نمضي في صحبة القرشي، لنتعرف على رحلة عطاء شاعر كبير، من خلال المحطات التالية:

• هذا العالم السحري:

يستهل الشاعر تجربته بقوله: «فتحت عيني على عالم الشعر، هذا العالم السحري في شوق فارط، ونشوة مبهورة.. أريد أن أتكلم في المهد، أريد أن أقدم إنتاجاً ناضجاً مشحوناً بالحيوية والدفق، ولقطات الفن المبتكرة.. أريد أن أكون الشاعر الذي يشار إليه بالبنان».. ـ(ص: ٥).

هكذا ولد الحلم في حياة الشاعر منذ نعومة أظفاره، وظل مرافقاً له طوال رحلته مع الكلمة الشاعرة، حتى تحقق الحلم، وصار حقيقة.

إن القرشي يحدثنا عن مرحلة البدايات، فيقول: «كانت تجربتي ــ في مخاضها وولادتها ــ محدودة ولكن ثروتي من التصورات كانت كبيرة، ولم يكن زادي اللغوي قليلاً ـ مع سني الصغيرة يومها ــ فقد حفظت القرآن الكريم وأنا دون العاشرة، وكانت أذني السّماعة وذاكرتي اللاقطة تساعدني على حفظ الكثير من أبيات الشعر من قصائد كان الوالد ــ رحمه الله ــ يرددها وكان راوية فذاً للشعر، وقارضا مقلا له». (ص: ٦).

ومن الواضح أن الشاعر نشأ في بيئة ساعدت على نمو موهبته وتألقها، فقد قرأ كثيراً من شعر شعراء المعلقات المعروفين، وحفظه، كما قرأ كثيراً من شعر القدامى والمحدثين والمعاصرين. يقول معبراً عن إعجابه بالموسيقى في شعر البحتري: «أعجبت بالموسيقى الشعرية التي تترقرق في شعر البحتري.. فهذا الشاعر هو حقاً من أساتذة الموسيقى الشعرية، وأحد روادها (ص: ١٣).

• مكونات ثقافة الشاعر:

من أبرز مكونات ثقافة الشاعر القرشي ما يلي:

(أ) حفظ القرآن الكريم.

(ب) قراءاته في الشعر العربي، قديمه وحديثه ومعاصره.

(جـ) قراءة كتب الأدب العربي القديمة والحديثة.

(د) قراءة ما ترجم من روائع الأدب العالمي.

(هـ) دراسة التاريخ والتخصص فيه.

(و) الميل إلى القيام برحلات كثيرة حول العالم.

وهذه المكونات أسهمت في تحديد إطار لتجربة الشاعر الشعرية، وكذلك الأدبية بصفة عامة. ولعلها تصلح أن تكون مفتاحاً، أو جسراً للدخول إلى عالمه الشعري والأدبي معا.

ويقول القرشي حول عالم التاريخ والرحلات: «لقد عشت في التاريخ بفروعه المتغايرة وتجولت في مقاصيره وحجراته بوعي: والتاريخ عالم فسيح يكثف حياة الإنسان ويضاعف تفاعلها مع الأحياء، وهو كعالم الرحلات سواء بسواء». (ص: ٢٧، ٢٨).

كما يضيف الشاعر إلى ما سبق موضحاً الدافع إلى دراسته للتاريخ : «لقد شاقتني دراسة التاريخ كثيراً، ولعل في هذا سراً لحصولي على الليسانس فيه» . ــ (ص : ٢٩) .

● موقف الشاعر من الشعر الحر :

عاصر القرشي مولد حركة الشعر الحر في الحركة الأدبية العربية المعاصرة، ثم أسهم فيها بنماذج من القصائد.

وإذا كان شاعرنا قد بدأ تجربته الشعرية بكتابة الشعر العمودي، إلا أن الشاعر كتب، كما أشار، فيما بعد الشعر الحر في نماذج مقبولة، فهو شاعر يستنكر التعصب للشكل في الشعر، على حد تعبيره. . (ص : ٢٢) .

وفي محاولة لاستشراف مستقبل الشعر الحر يقول : «واعتقادي أن الشعر الحر لون سيقدر له البقاء لأنه أقدر ــ في أغلب الأحيان ــ على الرمز من بعض الشعر العمودي» . ــ (ص : ٢٥) . فالشاعر واحد من أنصار حركة الشعر الحر في المملكة العربية السعودية، حيث تشهد ازدهاراً الآن على أيدي كثير من الشعراء هناك أمثال : القصيبي، وسعد الحميدين، وأحمد الصالح (مسافر)، ومحمد الثبيتي، ومحمد جبر الحربي، وعبدالله الصيخان، وسواهم مما يطول حصره.

وليس الشعر الحر هو اللون المفضل عند الشاعر، لأن كلا من اللونين : العمودي والحر، أثير على نفسه، محبب إليها.

وكان القرشي معجباً، على سبيل المثال، ببعض النماذج لرواد حركة الشعر الحر كالسياب، والبياتي، ونازك الملائكة، وبلند الحيدري، وصلاح عبدالصبور، وفدوى طوقان، ومحمد الفيتوري، ونزار قباني.

كما يرفض تسمية الشعر الحر بالشعر الحديث، لأن الجدّة لم تتخل ــ ولن ـ عن الشعر العمودي، وواقع الشعر العربي المعاصر يؤكد ذلك، كما أشار القرشي ـ (ص : ٢٦) .

ويحدد الشاعر ما يؤثر في قضية الشعر الحر ويضرها، بقوله : « والذي يضر في اعتقادي بقضية الشعر الحر ويحد من عناصر رسوخها وتثبيت جذورها هو أن كثيراً ممن يكتبونه يجدونه معبراً سهلاً لرصد خطراتهم الشعرية مبتعدين عن مناهجه وأشكاله الصحيحة، وبعضهم ــ وهذا مؤسف حقاً ــ ضعيف اللغة هزيل التعبير إلى حد الفقر والخواء، فتأتي بالتالي نماذجهم

الشعرية غاية في الركاكة، والابتذال، والضحولة، والاصفاء» (ص : ٢٦).

ثم يبين القرشي السبب الذي أسهم في إثراء حركة هذا الشعر، يقول : «لعل السبب في إثراء الشعر الحر وتعميق حركته هو أن رواده قد كتبوا أصلاً الشعر في شكله العمودي، كما أن رصيدهم من العبارة الشعرية أصيل وموفور، ولذلك جاءت قصائدهم خير نماذج هذا الشعر، وأقواها، وأحفلها بالتجربة الصادقة، والصور الموحية». ــ (ص ٢٧).

ويورد الشاعر بعض نماذج من أشعاره، حيث تبين صلته بحركة الشعر الحر، منها قصيدة بعنوان (غرد الفجر فهيا) من ديوانه (البسمات الملونة) :

غردالفجر فهيًا يـا حبيبـــي   واستهـام النور في روضـي الرطيب
قبلات الزهر سحر مستطير
ونسيم الورد نجوى وعبير
والدُّنى حب تناهى وشعور
فإلام الصد ؟
عن أليف الود ؟
والجفا والبعد ؟
وفؤاد الصـد يشدوا كالغـريـب   غـرد الفجـر فهيًا يـا حبيبـي

وفي هذا النموذج تخلى الشاعر عن القافية ذات الجرس والرنين، وعمل على تنويع القافية، كما انتقل من بحر إلى آخر، ما دامت الموسيقى الشعرية تظل متماسكة ولا تتأبى على هذا الانتقال.

•حول تعريف للشعر والشاعر :

يقول القرشي حول ماهية الشعر : «الشعر عندي لا يعرَّف، وكم أجهدت نفسي في تعريفه فما استطعت، ولا أعتقد أن هناك تعريفاً استطاع أن يستقطب الشعر أو يحدد ماهيته أو يلم بطلسمه السحري المغلق». ــ (ص : ٣٠).

ويستطرد الشاعر قائلاً : «قد يكون ملائماً أن نقول إن الشعر هو الإنسان بآفاقه البعيدة، ونظراته المتباينة، ورؤاه وأحلامه، وفكره، وبصيرته، ومعطياته بأوفى شمولها وأبعد آمادها،

وأسمى ميولها وغاياتها أو أحط نزعاتها وغرائزها، ومن السخف أن نعرف الإنسان بأنه المخلوق الحي الذي ينظر ويفكر ويحيا ثم يموت ويخلد ذكره بعد موته حينا أو ينتهي أمد ذكره بانتهاء حياته الزمنية الوقتية». ــ (ص : ٣٠، ٣١).

ويتحدث عن الشاعر بقوله : «الشاعر كبير جداً وهو يوغل في متاهات النفس ويجوب دروبها، ومنعرجاتها، ويكتشف ما غمض من أسرارها، ومتاهاتها، ويعبر عن شتى حوافزها وخلجاتها». (ص ٣١).

• عن التزام الشاعر:

هل يعدّ القرشي شاعرا ملتزما أم غير ملتزم؟

أجاب شاعرنا بقوله: «إنني في الحقيقة إنسان يعبر بلغة الشعر. وفي حالة أن يكون الإلتزام إلزاما وفرضا فإنني لا أسيغه بطبيعة الحال، ولا أرضى للشاعر هذا الموقع في الحياة». ـ (ص : ٣٢).

ويوضح موقفه كشاعر قائلا: «إنني شاعر أعيش ـ ما أتيح لي ـ هموم النفس البشرية، كما أنني شاعر أحيا ــ ما استطعت ـ هموم قومي في هذا العالم المتناقض المضطرب، والمغلّف بالضباب، الرازح تحت كابوس الذل والنفاق، والجريمة، والواقع تحت سيطرة الاستعمار، والظلم، والاستبداد؛ وما من ديوان من دواويني إلاّ وفيه نبض لهذه الهموم القومية المتفاقمة، ومحاولة لتحريك الطاقات الإنسانية نحو عالم أفضل ونحو مثل عليا؛ كما أن ثلاثة من دواويني تكاد تكون شعرا قومياً محضاً.» ـ (ص : ٣٢).

هذه ملامح بارزة في رحلة عطاء الشاعر السعودي حسن عبدالله القرشي، كما صورها بأسلوبه الرقيق في (تجربتي الشعرية).

ومن الممكن أن نوضح أهم الخصائص المميزة لشخصية الشاعر، في ضوء قراءتنا لهذه التجربة:

أولا ــ الصدق مع النفس :

فالشاعر يبدو صادقاً مع نفسه ، ولعل هذا الصدق هو الأساس في تعامله مع الآخرين .

ثانيا : الموضوعية

كان الشاعر موضوعياً في الحديث عن تجربته الشعرية ، محاولاً قدر الإمكان أن يبتعد عن دائرة الذاتية المتورمة ، فجاءت رؤيته للتجربة بلا تنميق أو تزويق أو تضخيم .

ثالثا : التفاؤل

تبدو نظرة الشاعر إلى الحياة متفائلة ، وإن كانت لا تخلو من المآسي والفواجع في زماننا .

وبعد ، فتعد (تجربتي الشعرية) للقرشي عملاً أدبياً مفيداً للباحثين والنقاد ، الذين يتناولون أعمال الشاعر ، تحليلاً ودراسة وتقويماً .